تفريغ المجلس الرابع من مجالس شرح كتاب: "رياض الصالحين" للحافظ النووي – رحمه الله تعالى – (باب التوبة: من الحديث 13 إلى الحديث 20).

قال الشيخ أبو حذيفة محمود الشيخ – حفظه الله تعالى –:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فهذا إخوتي – بارك الله فيكم – المجلس الرابع من مجالس شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي – رحمه الله تعالى –، واليوم نتحدث عن الباب الثاني، وهو (باب التوبة).

التوبة: هي الرجوع. **قال الشيخ العثيمين**: "من تاب يتوب، إذا رجع.

وشرعا: الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته"[1].

قال النووي – رحمه الله تعالى –: (قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الله تَعَالَى لاَ تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أحَدُها: أَنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثالثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا.

فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.

---

[1] شرح رياض الصالحين (1/ 85 – 86).

وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعلَّقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُها أرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإِنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإِنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وإِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبَةِ.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾

[سورة النور]، و قَالَ تَعالَى:﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ٣﴾ [سورة هود: 3 – 52]، وقَالَ تَعالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ٨ ﴾ [سورة التحريم].

التوبة: هي الرجوع من المعصية إلى الطاعة؛ إلى طاعة الله – سبحانه وتعالى –، ولها شروط ذكر المؤلف منها ثلاثة إذا كانت متعلقة بحق الله تعالى، **فإن الذنوب تنقسم إلى قسمين:**

[القسم الأول]: منها ما يتعلق بحق الله – سبحانه وتعالى – كترك الصلاة مثلا.

وهنالك القسم الثاني: ما يتعلق بحق الآدميين، كالغِيبة، والنميمة، وسرقة المال، وقذف المحصنَات، فهذه تتعلق بحق آدميين، ذكر المؤلف – رحمه الله تعالى – ثلاثة شروط إذا كانت متعلقة بحق الله تعالى، وزاد عليها شرطا رابعا إذا كانت متعلقة بحق آدمي.

وزاد العثيمين – رحمه الله تعالى – شرطين آخرين على الإثنين، سواء كان متعلقا بحق الله – سبحانه وتعالى –، أو كان متعلقا بحق آدمي[1]:

الشرط الأول الذي لا بدّ أن نعلمه هو: الباب الأول (النية)؛ أن تكون هذه التوبة لله – سبحانه وتعالى – خالصة لله، ليس خوفا من الناس، أو ليس لسبب عارض جعله يتوب، يعني: مثلا

---

[1] شرح رياض الصالحين (1/ 90 – 91).

واحد يشرب الخمر فنفذ مالُه، فقال: تبت، وندم وأقلع، وقال: لن أعود إلى الخمر، هل الذي جعلك تترك الخمر أنك حقيقة تبتَ أم أنك لا تجد المال؟ لذلك لا بدّ أن يكون تركك هذا المحرّم = وجه الله – سبحانه وتعالى –؛ الإخلاص، هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: أن يقلع عن المعصية، لا بد، فورا، التوبة أن تقلع فورا عن المعصية.

والشرط الثالث: أن يندم حقيقة على فعلها، ويندم من قلبه، وليس فقط يقول للناس ندمت، وهو في قرارة نفسه ليس نادما الندم الحقيقي، هذا بينه وبين الله – سبحانه وتعالى –.

الشرط الرابع: أن يعزم على أن لا يعود إلى هذا الذنب مهما حدث، لا يعود، طيب، وإذا عاد بعد أن صدق لله – سبحانه وتعالى – مقلعا عن المعصية، نادما على فعلها، عازما على أن لا يعود، ثم عاد = هنا أيضا يجدد التوبة مرة ثانية، يخلص لله، ويستعن بالله على أن يترك المعصية، فيقلع عنها، ويندم على فعلها، ويعزم على أن لا يعود حتى وإن عاد بعد ذلك، وإن كان هذا ليس جيدا أن يعود، ولكننا – نحن البشر – عندنا هذا الضعف، فلا يملّ من التوبة، والشيطان يحاول أن ييأس الإنسان من التوبة، ويُقنِّطه من رحمة الله، ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر]، لا يقنط المسلم المؤمن من رحمة الله، باب التوبة مفتوح، فالتواب هو الله – سبحانه وتعالى – ما لم تطلع الشمس من مغربها، **وهذا شرط آخر ذكره العلماء**: أن تكون التوبة في زمن التوبة، في زمن قبولها، ما هو زمن قبول التوبة؟ إذا أردنا على العموم قبل طلوع الشمس من مغربها؛ لأن النبي ﷺ يقول: **"لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"**[1]، أما إذا كان الأمر على الإنسان نفسه؛ فإن توبته مقبولة مادامت روحه لم تصل الحلقوم، ما لم يغرغر، وقد قال النبي ﷺ: **"إن اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ ما لَمْ**

---

[1] أخرجه أبو دأود برقم: 2479 من حديث معاوية - رضي الله عنه -.

يُغَرْغِرْ"[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام، فهذه أن تكون التوبة في زمن قبولها **شرط خامس** لقبول التوبة.

الشرط السادس: إذا كان الأمر متعلقا بحقوق الآدميين = فعليه أن يرده إليه.

واختلف العلماء في هذه المسألة: هل دائما يجب عليه أن يَرُدَّ حق الآدميين، فهنا المسألة فيها تفصيل:

- إذا كان الأمر مالا فلا بد أن يرده إليه.
- أو ضربه فلا بد أن يضع جسمه، أو جسده أمامه فيقتص منه إلا أن يسامح الآخر.
- إذا كانت غيبة وعلم بها فلا بد أن يتحلله منها.
- إذا كانت غيبة لم يعلم عنها فالأفضل ألا يتكلم، لعل ذلك يجر مشاكل أخرى، بل يستغفر لأخيه وقد ورد في ذلك حديث موضوع، ضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى -: "كفارة من اغتبت = أن تستغفر له"، وهذا الحديث موضوع قال الشيخ الألباني ذلك في **"ضعيف الجامع"** حديث رقم (4190)[2].

مسألة أخرى ذكرها المؤلِّف، قال: **(ويجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِهِا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذِلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي)**، المسألة فيها خلاف؛ التوبة من ذنب تقبل إذا كان عنده ثمة ذنوب أخرى أم لا؟ اختلف أهل العلم على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها لا تقبل حتى يتوب من جميع ذنوبه، وهذا القول ضعيف.

---

[1] أخرجه الترمذي: 3888، وقال عقبه: "هذا حديث حسن غريب".

[2] أخرجه ابن أبي الدنيا في:الصمت"، ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص (610).

والقول الثاني: أنها تقبل مطلقا، وهذا القول صحيح، يعني: كل ذنب تبت منه؛ فإنه يقبل وإن كان عندك ذنوب أخرى.

وهناك قول ثالث: وهو قول جيد، ولكن لا يجزم به، والثاني أدق وأصح، والله أعلم، وهذا ما ذهب إليه الشيخ العثيمين، وذهب إليه المؤلف.

القول الرابع: إذا كان الذنب متعلقا بذنوب أخرى، أو بذنب آخر فلا بُدّ أن يتوب من جميعها بما يتعلق فيها، مثلا الزاني يريد أن يتوب يجب عليه أن يتوب من الزنا، ومن النظر إلى النساء النظر للمحرم، والأمور التي تتعلق بهذا الجانب، ولكن الله - سبحانه وتعالى - يتوب على عباده، فالقول الثاني اختاره الشيخ العثيمين، وهو قول طيب - إن شاء الله تعالى -نقول بما قاله الشيخ العثيمين - رحمه الله -.

قال المؤلف: (وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وإجْماعِ الأمةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ)، وذكر بعض الأيات في ذلك: منها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ جاءت في معرض الأمر بغض البصر ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ٣٠﴾ ثم قال:﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ٣١﴾ [سورة النور]، وذكر الحدّ المسموح لهم بالدخول على النساء، وما هي حد العورة إلى آخره في سورة النور، ثم قال في آخر الأية: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ فيه أمر بالتوبة؛ فدل على أن التوبة عبادة يحبها الله - سبحانه وتعالى -، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتائب يعود هذا الرجوع إلى الله عليه بالخير والفلاح في الدنيا، ويعود عليه [بالخير في] الآخرة.

أيضا مسألة مهمة: ذكر الشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى - من وقع في ذنب فلا يفضح نفسه، بل عليه أن يستر نفسه لأن النبي ﷺ يقول: **"كُلُّ أمتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ"** وإن من المجاهرة كما جاء في الحديث: **"وَإِن مِنَ الْإِجْهَارِ أن يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ قَدْ**

سَتَرَهُ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا فُلان ، قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ"[1] أو كما قال رسول الله ﷺ.

يبقى الذنب الذي يرتبط به كالزنا، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، وغير ذلك فهل له أن يخبر الإمام بذلك؟ نعم، يفعل ذلك، وقد فعل ذلك بعض الصحابة، وقد أقام النبي ﷺ عليهم الحد، لكن الأصل في الإنسان [أن] يستر نفسه، ويستغفر ويتوب بالشروط التي ذكرها العلماء حتى تقبل توبته.

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك أحاديث مرتبطة بهذا الباب الحديث الأول، طبعا أتمنى أن نكون حفظنا الأحاديث الماضية، اثنا عشر حديثا ذكرناه في باب الإخلاص، فهل تم حفظها؟ وإن تم حفظها فعندك أسبوع كامل لمراجعتها؛ تبقى تراجعها ولا تزد عليها، فقط إبق على مراجعة باب النية والإخلاص؛ مراجعة الحفظ، حتى تتمكن منه، ثم تعال لننتقل إلى هذا الباب الجديد، الأحاديث الماضية سهلة ومعروفة حقيقة، يفترض عند طلاب العلم بل عند المسلمين؛ يفترض أن تكون تلك الأحاديث معروفة.

---

[1] أخرجه البخاري: 6069، ومسلم: 2990.

الحديث الثالث عشر، وهو أول حديث في باب التوبة، قال المؤلف – رحمه الله –[1]:

13 – وعن أبي هريرةَ – رضي الله عنه – قَالَ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «واللهِ إني لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إليه فِي اليَوْمِ أكثر مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري[2].   14 – وعن الأَغَرِّ بنِ يسار المزنِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا أيها النَّاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فاني أتُوبُ فِي اليَوْمِ مائةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم[3]).

أمر من النبي ﷺ، وهذا الأمر يفعله بنفسه، يأمرنا بأمر وهو يفعله بنفسه ﷺ، فنحن أحوج ما نكون إلى هذا الفعل، وأن نقتدي ونستن بالنبي ﷺ، أخذا بأمره، واقتداء بفعله وسنته ﷺ، فهو يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من مئة مرة كما في الحديث، حديث أبي هريرة أكثر من سبعين مرة، وفي حديث الأغر بن يسار المزني، وهو الجهني – رضي الله تعالى عنه – يتوب إلى الله ويستغفره أكثر من مئة مرة، وهذا لا يخالف، فهذا من شدة حرص النبي ﷺ على التوبة وهو رسول الله ﷺ الذي قد غُفر له ما من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يستغفر ويتوب وقد كان ساجدا ﷺ في سجوده يقول: **"اللهم يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"**[4] يأتيه المغيرة

[1] الدقيقة: 13.

[2] 6307.

[3] 2702.

[4] الترمذي: 2140 – 3522 – 3587

شُعبة[1]، و في حديث جاءت بعض أزواجه تقول ذلك: "[أَتَصْنَعُ هَذَا] وَقَدْ غُفِرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ؟، فقال: **[يا عَائِشَةُ]، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**"[2]، فهذا رسول الله ﷺ يفعل ذلك، أما نحن أهل للمعصية، وحاجتنا إلى التوبة والاستغفار كبيرة، فنحن أحوج أن نستغفر ونتوب توبة نصوحا، ونَصْدق مع الله – سبحانه تعالى – في كل يوم، وفي كل حين.

---

[1] البخاري: 1130، مسلم: 2819.

[2] البخاري: 4837، ومسلم: 2820.

الحديث الذي بعده، قال:

15- وعن أبي حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ - خادِمِ رسولِ الله ﷺ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «للهُ أفرح بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أحدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعيرِهِ وقد أضلَّهُ في أرضٍ فَلاةٍ». مُتَّفَقٌ عليه[1].

وفي رواية لُمسْلمٍ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أيِسَ مِنْ رَاحلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا (3)، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ! أَخطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

(وعن أبي حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ، خادِمِ رسولِ الله ﷺ - رضي الله عنه -) **أنس الخزرجي**: من الخزرج، ولد قبل الهجرة بعشر سنوات، وبقي خادما لرسول الله ﷺ منذ مجيئه المدينة = عشر سنوات تقريبا، حقيقة كان وعاء علم، يأخذ وينهل من بيت النبي ﷺ، وهذه فيها منقبة لأمه أم سُليم بنت ملحان - رضي الله تعالى عنه -، وهي من أقارب النبي ﷺ لأخواله، كانت حريصة أن يتعلم ابنها العلم الشرعي، فأرسلته ليخدم رسول الله ﷺ = فنال الحظ، والعلم الكثير، والخير، وهذا فيه حقيقة دعوة لنسائنا وأمهاتنا وسائر نساء المسلمين أن تحث ابنها على طلب العلم، وترسله بنفسها، وقد فعلت ذلك أم أحمد ابن حنبل - رحمه الله ورحمها الله -، كانت ترسله لصلاة الفجر، وإلى الكُتّاب وهو صغير؛ طفل صغير، تبقى تنتظره حتى تنتهي صلاة الفجر، كان طفلا صغيرا تخاف عليه إلى أن الإمام أحمد أمام العراق، بل إمام المسلمين الذي صار يمتحن به كما **قال علي ابن المديني - رحمه الله تعالى** -: "إن الله - سبحانه وتعالى - حفظ الإسلام بأبي بكر يوم الردة، أو نصر الإسلام بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد بن

[1] البخاري: 6309، ومسلم: 2747.

حنبل يوم المحنة"، هذا هو الإمام أحمد وراءه أمه - رضي الله تعالى عنه، ورحمها الله -، وهذا أنس بن مالك وراءه أمه، فما أحوجنا إلى نساء مثل تلك النساء.

ومن جميل القصص: فيه طفل صغير كان أسود اللون، كان أفحجا، كان أصلعا، وهو طفل، وكان فيه حَوَل، وكان أفطس العين، وكان الأطفال يتجنبونه ولا يحبون صحبته، وكانت أمه حزينة عليه، لا أحد يريد أن يلعب مع ابنها، تشكو إلى جارة من جارتها فصيحة حكيمة، تشكو هذا الأمر فدلته إلى شيء ليرتفع شأنه ويعلو قدره بين الناس، قالت لها: إذا أردت له أن يعلو قدره اجعليه يطلب العلم، فطلب العلم فصار إمام مكة عطاء بن أبي رباح - رحمه الله تعالى - نادى مناد الخليفة في موسم لا يفتي أحد وعطاء في مكة، لا يفتي أحد، ممنوع حتى يكلم عطاء.

وله قصص عظيمة وجليلة، لا أحد من الناس لا يعرفه، ومع ذلك الدين عزيز، وطلب العلم عزيز، لما مات عطاء يقول - وأظن الذي قالها - أيوب السختياني والله أعلم نسيت لكن أظنه أيوب قال: "مات عطاء بن أبي رباح" وعطاء مَن هو عند الناس؟!، معروف قال: "وليس في مجلسه إلا خمسة" سبحان الله! الناس - حقيقة يعني: - يبخلون على أنفسهم في هذا العلم، هذا توفيق من الله - سبحانه وتعالى - لمن ييسر له طريق العلم، وهذا الطريق يؤدي إذا أخلص العبد النية لله، ومشى في الطريق الصحيح = يوصله إلى الجنة: **"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"**[1].

قال: (وعن أبي حمزةَ أنسِ بنِ مالكٍ) نقول: عن أبي حمزةَ، حمزةَ: هذا ممنوع من الصرف من باب الفائدة، وصفُه عَلَم، كذلك لفظه مؤنث تأنيثا لفظيا وليس معنويا، المعنى ذكر ولكن مؤنث باللفظ، فيه التاء مربوطة فاجتمعت العلتان: علة المعنى: وهو العلمية، وعلة اللفظ

---

[1] الترمذي: 2446، وابن ماجه: 223 من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وهو التأنيث = فمُنع من الصرف، منع من الصرف: أي عند الجر؛ يجر بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، لذلك نقول: (وعن أبي حمزةَ) ثم قلنا: (أنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ خادِمِ رسولِ الله ﷺ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «للهُ أفرح بِتَوْبَة عَبْدِهِ مِنْ أحدِكُمْ سَقطَ عَلَى بَعِيرِهِ وقد أضلَّهُ في أرضٍ فَلاةٍ». مُتَّفَقٌ عليه[1]) [متفق عليه]: أي رواه البخاري ومسلم.

(وفي رواية لُمسْلمٍ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا) جاء في رواية أنه ينتظر الموت (وقد أيِسَ مِنْ رَاحلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بها قائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ)

هذا الحديث العظيم: فيه الحث على الإسراع بالتوبة، إذ تعلم أن الله يفرح فرحا شديدا إذا تاب العبد، نعم، الإنسان يعمل المعصية، وإذا عاد إلى الله يكون خجل من نفسه؛ لأنه وقع في هذا الذنب، لكن انظر من جهة أخرى، ولعلها الجهة الأهم حقيقة = أن الله يفرح فرحا شديدا، بل يفرح مثل هذا الرجل الذي كانت معه راحلته، وعليها الطعأم والشراب، وعليها ملابسه وكل شيء، وكان في طريق فوقع عن هذه الراحلة فذهبت هذه الراحلة، بحث عنها وبحث، فأيس أن يجدها، فوجد شجرة فجلس في ظلها ينتظر فرج الله، أو ينتظر الموت، لا شيء عنده، ثم نام، فلما استيقظ وجد الراحلة عنده، تخيل ما هو شعوره من الفرح، فرح فرحا شديدا، بل من شدة فرحه أخطأ باللفظ، يريد أن يشكر الله ويحمده، ويثبت أنه عبد لله عكس الأمر لفظا، وليس من قلبه أخطأ باللفظ فقال: (اللَّهُمَّ أنتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ!) أخطأ فلم يقل اللهم أنت ربي، وأنا عبدك، يعني: اللسان تلعثم، لا يعرف ماذا يقول من فرحه، انظر: الله

[1] البخاري: 6309، ومسلم: 2747.

أفرح، وأشد فرحا من أحدكم بتوبته إذا تاب إلى الله – سبحانه وتعالى –، فلنبادر بالتوبة ولا نيأس من روح الله، ولا نقنط من رحمة الله – سبحانه وتعالى – ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر] هذا في الدنيا ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾﴾ حتى ولو كان الكفر؟ نعم، حتى ولو كان الكفر، "والإسلام يجُبُّ ما قبله"، ويقابلها آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿١١٦﴾﴾ [النساء]، هذا بعد الموت، يوم القيامة، إذا وافى العبد ربه بذنوب؛ فإذا كانت الذنوب ذنوب شرك فإن الله لا يغفرها، هل هي الشرك الأكبر أم الأصغر، اختلف أهل العلم في ذلك **والأحوط**: أن يستغفر الإنسان، ويتوب، ويعاهد نفسه على التوبة في كل حين من الشرك صغيره وكبيره، وإذا كان الذنب دون الشرك؛ فإن الله يغفره، إذن: الآية ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزمر]، هذا في الدنيا قبل الموت إن تبت إلى الله، واستغفرت الله؛ فان الله يفرح بشروط التوبة والاستغفار، ولكن إذا مات الإنسان، وعليه الذنوب فنأتي إلى آية سورة النساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿١١٦﴾﴾

- هذا الحديث أيضا فيه فائدة: إثبات الفرح صفة لله، وهذا الفرح فرح يليق به من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تحريف.
- كذلك هذا الحديث فيه فائدة: أن الخطأ لا يؤاخذ العبد عليه، فهذا العبد أخطأ ونطق بالكفر عندما قال: (اللَّهُمَّ أنتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ!) هذا كفر، فإن كان يعتقد ذلك = [فهو] كافر كفرا أكبر مخرجا من الملة، ولكنه كان قد أخطأ باللفظ، فهذا معفو عنه، والله – سبحانه وتعالى –، يعفو عنه وقال المؤمنون كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ

إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴿٢٨٦﴾ [سورة البقرة]، فقد قال الله تعالى في الحديث: **"قَدْ فَعَلْتُ"**[1]، طبعا على هذا ينبني مسائل فقهية في الطلاق، وغيرها.

[1] مسلم: 126.

الحديث الذي بعده[1]:

16- وعن أبي موسَى عبدِ الله بنِ قَيسٍ الأشْعريِّ - رضي الله عنه - عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إن الله تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها». رواه مسلم[2].

وعن أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أن تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ». رواه مسلم[3].

هذا حديث عظيم: فيه عظيم توبة الله - سبحانه وتعالى -، وكريم فضله أنه يتوب (يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ) رحمة الله واسعة، وتوبته عظيمة، فهو التوّاب - سبحانه وتعالى - اسمه التواب، وله صفة التوبة (حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها) الشمس تطلع من الشروق إلى الغروب هذا ما جرت به العادة إلى أن يشاء الله تطلع الشمس على غير العادة، فيؤمن جميع من رآها حتى كما **قال الشيخ العثيمين**: "حتى الكفار: [اليهود]، والنصارى، والبوذيون، والشيوعيون وغيرهم؛ كلهم يؤمنون"[4]، ولكن الذي لم يؤمن قبل أن تطلع الشمس من مغربها = لا ينفعه إيمانه، والدليل: قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ

[1] الدقيقة: 26.

[2] 2759.

[3] 2703.

[4] شرح رياض الصالحين (1/ 106).

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام]، هذا فيه تهديد ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ آية للتهديد والوعيد، فالتوبة مقبولة طالما لم تطلع الشمس من مغربها، ولكن إذا طلعت الشمس من مغربها لا تقبل التوبة، فالحذر الحذر، حتى وإن آمن؟ حتى وإن آمن أيضا.

هذا الحديث: (إن الله تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ) فيه فائدة: إثبات صفة اليد لله – سبحانه وتعالى –، واليد يدان، يدان الله كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ٦٤﴾ [المائدة] فنحن نثبت لله ما أثبته لنفسه؛ فنثبت لله صفة اليد من غير تكييف، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، لماذا؟ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [الشورى]، فلا نمثِّله بأي مخلوق، ونثبت له الصفة لأنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ أهل السنة أوفر الناس حظا بالأخذ بالكتاب والسنة؛ يأخذون بكل الكتاب والسنة، ويردُّون المتشابه إلى المُحكم، فهذه الآية لا يأخذون نصفها ويتركون الباقي كما تفعل المعطلة من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية يقولون: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ ولا يكملون، بل قل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ ولا نقول كما يقول الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ فيثبتون كل الصفات ويجعلونها تشبه صفات المخلوقات، بل نقول ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ هذا هو الذي يكون سعيدا، أسعد الناس بالكتاب والسنة = مَن أخذ جميع نصوص الكتاب والسنة، وإن جاءت آية فيها متشابه يردها إلى المحكم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٧﴾ هذه هي الأصل، لا يختلف فيها الناس ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص] ليس له ثان، ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ١٩٦﴾ [البقرة] لا يمكن أن تكون تسعة، آيات

محكمة واضحة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ آية محكمة، فنأتي إلى آية متشابهة نردها إلى المحكم، فقال تعالى في سورة الجن: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ هذه الآية يأخذ بها الخوارج والمعتزلة؛ ويقولون: من يقع في المعصية فإنه مخلد في النار، على خلاف بين الخوارج والمعتزلة؛ قالت الخوارج: هو كافر في الدنيا وفي الآخرة مخلد في النار. وقالت المعتزلة: هوفي منزلة بين منزلتين، وفي الآخرة مخلد في النار، اختلفوا في حكم الدنيا، واتفقوا في حكم الآخرة، وكلا القومين قولهما باطل، لماذا؟ لأن هذه الآية من المتشابهات، وكان عليهم أن يردوها إلى المحكم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فأسعد الناس بالكتاب والسنة = مَن أخذ بجميع النصوص، فإن واجهته آية متشابهة = رد المتشابه إلى المحكم.

قال المؤلف – رحمه الله –[1]:

18– وعن أبي عبد الرحمان عبد الله بنِ عمَرَ بن الخطابِ – – رضي الله عنه –ما –، عن النَّبي ﷺ قَالَ: «أن الله – عز وجل – يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن».

(ما لَمْ يُغَرْغِرْ) ما لم تصل روحه إلى الحلقوم.

اختلف العلماء في تحسينات الترمذي مع مراعاة النسخ التي في الموجودة بعضها في خلاف النسخ: فإن وجدت حديثا قال فيه الترمذي: "حديث حسن"، يختلف عن قوله: "حديث حسن صحيح"، يختلف عن قوله: "حديث صحيح"، يختلف عن قوله: "حديث غريب"، هناك أحاديث يقول: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، الخلاف بين أهل العلم فيما في مقصود الترمذي؛ يراجع في هذا الكتب الحديثية، وبيان أقوال العلماء فيها، ولكن على كل حال لا تستعجل، إذا سمعت أو قرأت قول الترمذي: "هذا حديث حسن"، لا تستعجل وتقل: أنه حسن، بل عليك أن تنظر ماذا يقول العلماء فيه؛ لأن الترمذي أصلا لم يتفق على كلمة حسن عنده، هل هو الحسن الإصطلاحي، أي: الذي دون الصحيح، وفوق الضعيف، أم الحسن اللغوي أم ماذا يريد الترمذي؟.

(«أن الله – عز وجل – يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ») ما لم تصل روحه إلى الحلقوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ١٨﴾ [النساء]

الشيخ ابن باز – رحمه الله تعالى –يوصي الأمة، يقول أكثر من [قولك] في السجود: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك"، وكذلك تدعو وتقول: "اللهم ارزقني توبة نصوحا

[1] الدقيقة: 31.

قبل الموت"، وكذلك: "اللهم أحسن خاتمتي" هذه وصية من الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - في [الدعاء في] السجود، علينا أن نأخذ بهذه الوصية، فهي طيبة جدا.

قال المؤلف – رحمه الله –:

19– وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَأن بْنَ عَسَّالٍ – رضي الله عنه – أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ، فَقالَ: ما جاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابتِغَاء العِلْمِ، فقالَ: إن المَلائكَةَ تَضَعُ أجْنِحَتَهَا لطَالبِ العِلْمِ رِضىً بِما يطْلُبُ. فقلتُ: إنه قَدْ حَكَّ في صَدْري المَسْحُ عَلَى الخُفَّيْنِ بَعْدَ الغَائِطِ والبَولِ، وكُنْتَ امرءًا مِنْ أَصحابِ النَّبِيِّ – ﷺ – فَجئتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ في ذلِكَ شَيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كان يَأمرنا إذا كُنَّا سَفرًا – أو مُسَافِرينَ – أن لا نَنْزِعَ خِفافَنَا ثَلاثَةَ أيام وَلَيالِيهنَّ إلاَّ مِنْ جَنَابَةٍ، لكنْ مِنْ غائطٍ وَبولٍ ونَوْمٍ. فقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكرُ في الهَوَى شَيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ رسولِ الله – ﷺ – في سَفَرٍ، فَبيْنَا نَحْنُ عِندَهُ إذ نَادَاه أَعرابي بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ: يَا مُحَمَّدُ، فأجابهُ رسولُ الله – ﷺ – نَحْوًا مِنْ صَوْتِه: «هَاؤُمْ» فقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ! اغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ فإنكَ عِنْدَ النَّبي – ﷺ – وَقَدْ نُهيتَ عَنْ هذَا! فقالَ: والله لاَ أَغْضُضُ. قَالَ الأعرَابي: المَرْءُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَا يلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أحبَّ يومَ القِيَامَةِ». فَما زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ المَغْرِبِ مَسيرَةُ عَرْضِهِ، أو يَسِيرُ الرَّاكِبُ في عَرْضِهِ أرْبَعينَ أو سَبعينَ عاما – قَالَ سُفْيان أحدُ الرواةِ: قِبَلَ الشَّأم – خَلَقَهُ الله تعالى يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ مَفْتوحًا للتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ. رواه الترمذي[1] وغيره، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

(وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ) – رحمه الله –، وهو تابعي مخضرم؛ أي: أدرك أيام الجاهلية، وأدرك الإسلام، ولكنه لم ير النبي ﷺ، أو لعله لم يكن مسلما في زمان النبي ﷺ، فهو من من كبار التابعين المخضرمين: أي الذين أدركوا الجاهلية وأدركوا الإسلام، ولكنه لا تعرف له صحبة،

[1] 3535.

والصحابي: "، هو الذي لقي النبي ﷺ مؤمنا به، [ومات على ذلك] ولو تخلل ذلك ردة [على الصحيح]"[1]، **أما التابعي**: فهو من أدرك الصحابي.

(زِرِّ بن حُبَيْشٍ) أبو مريم الأسدي، وقيل: أبو مطرِّف، توفي سنة اثنين وثمانين للهجرة في الكوفة.

يقول: (قال: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ) المُرادي له صحبة، قيل: أنه غزا مع النبي ﷺ، أو اثنتي عشر غزوة - رضي الله عنه - يقول زِرٌّ: (أَتَيْتُ صَفْوَأن بْنَ عَسَّالٍ - رضي الله عنه - أَسْأَلُهُ عَن المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ، فَقالَ: ما جاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابتِغاءَ العِلْمِ، فقالَ: أن المَلائكَةَ تَضَعُ أجْنِحَتَهَا لطَالبِ العِلْمِ رِضىً بِما يطْلُبُ. فقلتُ: أنه قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي المَسْحُ عَلَى الخُفَّيْنِ بَعْدَ الغَائِطِ والبَولِ) حك ووقع في نفسه موضوع المسح لأنه كان فيه خلاف؛ خلاف بين مَن ومَن؟

خلاف بين ثلاثة أقوام:

القوم الأول: الشيعة الروافض، وإن كان في زمانهم لا يوجد روافض، والله أعلم، طبعا هذا معروف، لكن قد يكون الكلام في زمان مشايعة الشيعة، ولكن أظن أن في ذلك الزمن لم يخرج من يقول بمثل هذا القول من الشيعة.

القول الثاني: هو قول الخوارج بمنع المسح على الخفين، وهذا أظنه كان مشتهرا هذا القول في زمانهم.

والقول الثالث: هو القول الحق [الذي] عليه أهل السنة المشي على الخفين، وفي زماننا هي فارقة بيننا، وبين الروافض المسح على الخفين، فهم لا يرون المسح على الخفين، ولا يرون غسل الرجلين، إنما يقولون بالمسح على القدمين، نسأل الله السلامة.

---

[1] كما رجحه الحافظ ابن حجر.

قال: (ما جاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابتِغاء العِلْمِ، فقالَ: أن المَلائكَةَ تَضَعُ أجْنِحَتهَا لطَالبِ العِلْمِ رِضىً بِما يطْلُبُ) هذا فيه منقبة لطالب العلم، وفيه حث على طلب العلم، وطلب العلم توفيق من الله – سبحانه وتعالى –، أخلص النية، وامض حتى وإن تعثرت عليك ظروف الحياة من عمل وغيره، ومشاكل دنيوية، لا تخلو الدنيا من هذه المشاكل لطالب العلم، ولا لغيره، ولكن لا تجعل مشاكل الحياة اليومية، أو المشاكل الموجودة عندك، تعيقك عن طلب العلم.

قال لي بعض الإخوة اليوم سبحان الله! في هذا أنه يريد أن يرتب أموره بسبب مشاكل.

فقلت له – يعني: وهذا ما تعلمته من شيخي وتعلمته من كلام للعلماء –، وأما تكون عبد القيم شيء من هذا بموضوع آخر، لكنه قريب، اطلب العلم والله – سبحانه وتعالى –، يتكفل لك برزقك ويتكفل لك – إن شاء الله تعالى –، ويسد حاجتك، ولعله يزيل عنك الهموم والمشاكل، اطلب العلم، ولا تجعل المشاكل عائقا وحاجزا عن طلب علم، بل اطلب العلم، وستجد حلا لهذه المشاكل – إن شاء الله تعالى –، وتأكد أنك مع الله – سبحانه وتعالى –، ولعلك من أولياء الله – سبحانه وتعالى –، فالله يتكفل بك فاطلب العلم، وكن شجاعا وجريئا، واجعل طلب العلم هو الأساس، وما تبقى من الدنيا خذها بما صح أو ذكر فيحديث النبي ﷺ: "حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ"[1]، وكذلك قول النبي ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ أمنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكأنما حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[2] فاطلب العلم، إجعله الأساس في حياتك، فهو فيه الفلاح في الدنيا والآخرة.

قال: (إنه قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي المَسْحُ عَلَى الخُفَّينِ بَعْدَ الغَائِطِ والبَولِ، وكُنْتَ امرءًا مِنْ أَصحابِ النَّبيِّ – ﷺ – فَجئتُ أَسْأَلُكَ) لاحظ هنا: سبحان الله!، من باب سنة النبي [ﷺ]، وهذه

---

[1] أخرجه الترمذي: 2380، وابن ماجه: 3349، واللفظ له.

[2] أخرجه الترمذي: 2346، وابن ماجه: 4141.

السنة فيها أمر: "كَبِّرْ كَبِّرْ"[1]، ومن باب قول الله - سبحانه وتعالى - -: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ٨٣﴾ [سورة النساء]، هذا الواجب علينا، وقد قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ إن أشكلت عليك مسألة في فقه أو في غير ذلك = فورا إذهب إلى العلماء؛ علماء أهل السنة، أهل الذكر الذين يتحلون بصفتين:

الصفة الأولى: التقوى.

والصفة الثانية: العلم.

هاؤم أهل الذكر: تقوى وعلم، فالتقوى تمنعه من الشهوات واتباع الهوى، والعلم يمنعه من الشبهات والوقوع فيها، فلا بُدّ أن تبحث عن هذا الصنف من العلماء، وتجد - إن شاء الله تعالى - ضالتك عنده، حتى وإن أخطأ فهو معذور باجتهاده، وأنت أديت الذي عليك فقد سألت أهل الذكر، وعملت بما أمرك الله - سبحانه وتعالى - به. وكبر كبر دائما، خذ كلام الكبار، فهذا زرُّ بن حُبيش ماذا فعل؟ جاء صحابيا من صحابة رسول الله ﷺ، قال: (وكُنْتَ امرءًا مِنْ أَصحابِ النَّبيِّ - ﷺ -) أي: أسألك لأنك من أصحابه، فأنت أفهم لقوله، وأعلم بمراده فقال: (فَجئتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذكُرُ في ذلِكَ شَيئًا؟) يريد سبحان الله! علو السند

---

[1] عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبي حَثْمَةَ قَالَ: انطَلَقَ عَبْدُ الله بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْن زَيْدٍ إِلى خَيْبَرَ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلى عَبْدِ الله بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمٍ قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ، فانطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: كَبِّرْ كَبِّرْ وَهُوَ أَحدَثُ القَوْمِ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّما، فَقَالَ: أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ، أَوْ صَاحِبَكُمْ قَالُوا: وَكَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَرَ؟ قَالَ: فَتُبْرِيكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ فَقَالُوا: كَيْفَ نَأخذ أيمان قَوْمٍ كُفارٍ، فَعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ. أخرجه البخاري: 3173 - 7192، ومسلم: 1669.

في ذلك، بإمكانه [أن] يسأل عالما آخر من التابعين، لكنه علا بسنده، وهذه صارت سنة عند العلماء = العلو بالسند أن يعلو بالسند.

قال: (هَلْ سَمِعْتَهُ يَذكرُ في ذلِكَ شيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كان يَأمرنا إذا كُنَّا سَفرًا - أو مُسَافِرِينَ - أن لا نَنْزعَ خِفافَنَا ثَلاثَةَ أيام وَلَياليهنَّ إلاَّ مِنْ جَنَابَةٍ، لكنْ مِنْ غَائطٍ وَبَولٍ ونَوْمٍ) طبعا هذه من المسائل الفقهية، لا داعي لذكرها الآن، لماذا لا داعي لك الآن؟ [لأن] فيها كلاما، وإن كان معروفا عند العلماء المقصود منها، ولكن بابها محله الفقه أفضل، ونحاول أن نحرص على الباب الذي نحن فيه، وهو باب التوبة إلا ما وجدناه من فوائد.

قال: (فقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكرُ في الهَوَى شَيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنّا مَعَ رسولِ الله - ﷺ - في سَفَرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِندَهُ إذ نَادَاه أعرابي بصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ) بصوت له جهوريٌّ، بل بصوت له جهوريٍّ: هذا نعت مجرور، صوت: نعت، بصوت هذا الأعرابي، صوته جهوري، وهذه من صفة الأعراب: الشدة والغلظة في الكلام (يَا مُحَمَّدُ، فأجابَهُ رسولُ الله - ﷺ - نَحوًا مِنْ صَوْتِه: «هَاؤُمْ» فقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ! اغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ فإنك عِنْدَ النَّبي - ﷺ - وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هذَا! فقالَ: والله لاَ أغْضُضُ. قَالَ الأعرَابي: المَرْءُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَا يلْحَقْ بِهِمْ؟) و لما: هذه الجازمة، النافية تشبه لم ولما نفي، وجذب وقلب، أي: ولم يلحق، ولما يلحق بهم، يعني: يحب قوما لكن لا يلحق بهم بأعمالهم، ماذا قال له النبي ﷺ، وهذا الكلام عن الهوى، ماذا في قلبك فإن كنت محبا لأهل السنة فأنت معهم يوم القيامة - إن شاء الله تعالى - والله يعينك - إن شاء الله تعالى - إن صدقت على اتباعهم في الدنيا، والعمل بعمل أهل السنة، وإن كنت صاحب بدعة فلا تقل لي: أن فلانا صحيح يجالس أهل البدع، ولكن ليس منهم، لماذا؟ لأن "المَرْءُ عَلَى

دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أحدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[1].

ومن هنا قال سفيان الثوري عندما نزل رجل قيل: أنه من أهل السنة.

قال؟ أين نزل؟ - في البصرة هذا الكلام -.

قالوا: عند القدرية.

فقال: هو قدري.

"المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أحدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ".

هنا يقول النبي ﷺ («المَرْءُ مَعَ مَنْ أحبَّ يومَ القِيامَةِ») فمن يحب النبي ﷺ فإنه معه يوم القيامة، والمحبة تستلزم اتباعا وليس كلاما، والذي يحب الكفار محبة حقيقية فهو معهم يوم القيامة.

قال: (فَما زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ المَغْرِبِ مَسيرَةُ عَرْضِهِ أو يَسِيرُ الرَّاكِبُ في عَرْضِهِ أرْبَعِينَ أو سَبعِينَ عاما) هو باب واسع جدا، تخيل في من أوله إلى آخره، في عرضه باب مسيرته (أرْبَعِينَ أو سَبعِينَ عاما، قَالَ سُفْيان أحدُ الرواةِ: قِبَلَ الشَّأم - خَلَقَهُ الله تعالى يَوْمَ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ مَفْتوحًا للتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ. رواه الترمذي وغيره، وَقالَ: «حديث حسن صحيح»).

انظر إلى توبة الله - سبحانه وتعالى - وعِظم توبته، وكثرة رحمته، وسعة فضله.

---

[1] أبو داود: 4833، والترمذي: 2378، والحاكم: 7412 واللفظ له.

الحديث الذي بعده، قال:

وعن أبي سَعيد سَعْدِ بنِ مالكِ بنِ سِنَان الخدريِّ - - رضي الله عنه -: أن نَبيَّ الله - ﷺ - قَالَ: «كان فِيمَنْ كان قَبْلَكمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أهل الأرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فأتَاهُ. فقال: أنه قَتَلَ تِسعةً وتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟ فقال: لا، فَقَتَلهُ فَكَمَّلَ بِهِ مئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أهل الأرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عالِمٍ. فقَالَ: أنه قتَلَ مائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انطَلِقْ إلى أرضِ كَذَا وكَذَا فإن بِهَا أناسًا يَعْبُدُونَ الله تعالى فاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، ولاَ تَرْجِعْ إلى أَرْضِكَ فإنها أرضُ سُوءٍ، فانطَلَقَ حَتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المْوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذَابِ. فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا بِقَلبِهِ إلى الله تعالى، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذَابِ: إنه لمْ يَعْمَلْ خَيرًا قَطُّ، فأتَاهُمْ مَلَكٌ في صورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ - أي حكَمًا - فقالَ: قِيسُوا ما بَينَ الأرضَينِ فإلى أيتهما كان أدنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أدنى إلى الأرْضِ التي أرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحمةِ». مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فَكان إلى القَريَةِ الصَّالِحَةِ أقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أهلها».

وفي رواية في الصحيح: «فأوحَى الله تعالى إلى هذِهِ أن تَبَاعَدِي، وإلى هذِهِ أن تَقَرَّبِي، وقَالَ: قِيسُوا ما بيْنَهُما، فَوَجَدُوهُ إلى هذِهِ أقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ». وفي رواية: «فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا».

(كان فِيمَنْ كان قَبْلَكمْ) في الأمم السابقة، لعله من بني إسرائيل هذا الرجل.

قال: (رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أَهْلِ الأرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ. فقال: إِنَّهُ قَتَلَ تِسعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟) هذا الرجل قتل تسعة وتسعين نفسا، اهتدى قلبه إلى أن يتوب، يريد أن يتوب ولا يعرف كيف السبيل إلى التوبة.

(فَسَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أهل الأرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ) عابد ليس عالما، ليس عنده علم، لكنه معروف بعبادته (فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟) ماذا قال هذا الراهب؟ (فقالَ: لا) هذا الجواب جواب جأهل (لا)، والله - سبحانه وتعالى - تواب رحيم، فكيف تقول له: [لا]، قال: (فَقَتَلهُ فَكَمَّلَ

بِهِ مِئَةً) قتله، بل قتله جهله، لو علم رحمة الله، وعلم أن الله هو التواب، ومن يحول بينه وبين التوبة، فكيف يقول بعد ذلك له: [لا]، وهذا فيه فضل أهل العلم على أهل العبادة؛ أهل العبادة الذين ليس عندهم علم، وعندنا في هذا الزمان، ويوجد في أزمنة كثيرة، منهم من أصحاب عبادة القبور، خاصة الذين يدَّعون أنهم أهل تقوى وعبادة، وانكباب على طاعة الله، ولكن كل عبادتهم عبارة عن بدع، ومنكرات، ومحدثات، ثم يقولون: نحن أهل الله وخاصته!، بل حتى ادّعوا أنهم أفضل من الأنبياء! لماذا؟ يقولون: النبي يحدِّث عن جبريل عن ربه، أما هم فيحدثهم قلبهم عن ربهم!، ويقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي!، ومن هنا خرجوا بقولهم: الولي أعظم من النبي نسأل الله السلامة.

قال: (فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقَالَ: نَعَمْ) طبعا، لا شك [أنّ] العالم الذي يعمل بعلمه، والعابد قتله جهله؛ لأنه ليس عنده علم، لكن إذا كان العابد عالما فهذا الأكمل ولا شك، وهذا هو المطلوب، نسأل الله السلامة من عالم ليس بعابد، كمن يفيد غيره ولا يفيد نفسه، ويخشى عليه يوم القيامة أنه ممن تُسعّر به النار أول الناس.

(فقَالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟) نعم، من يحول بينه وبين التوبة؟

(انْطَلِقْ إِلَى أرضِ كَذَا وكَذَا فإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله تَعَالَى فاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، ولاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أرضُ سُوءٍ) دله أولا على أن التوبة مقبولة؛ فالتوبة يقبلها الله، ولا يحول بينه وبين التوبة إلا أن تطلع الشمس من مغربها، أو يغرغر، ثم دله على طريقة التوبة، وأنه لربما يتوب ولكن قد يرجع إلى المعاصي، لماذا؟ لأن قومه، أو أرضه أرض سوء، فعليه الهجرة إلى أرض كذا وكذا، إلى أرض فيها أناس صالحون يعبد الله معهم، وهذا فيه الحث على ترك المعصية، وترك أسبابها، وترك المكان الذي يوصلك إليها، وكل ما يُقرب إليها = هجرة إلى الله.

وهنا مسألة: يحتج بعض أهل البدع في هذا الزمان من الجماعات التي تخرج يقال لها: "جماعة التبليغ والدعوة" بهذا الحديث، حيث أنهم يخرجون من بيوتهم إلى أماكن أخرى،

استدلالا بهذا الحديث، أنهم خرجوا هجرة من أرض السوء إلى أرض الصلاح، فنسأل الله السلامة من فكرهم وفهمهم السقيم، مَن قال لهم أن أرضهم أرض سوء؟! والأرض التي ذهبوا إليها أرض سلامة وصلاح، لربما أرضهم أصلح من الأرض التي ذهبوا إليها، خاصة أنهم يذهبون من شارع إلى شارع، فما الفرق بين هذا الشارع وهذا الشارع؟ أو هذه القرية وهذه القرية، وهم في نفس المدينة فنسأل الله السلامة من هذا الفهم السقيم.

هذا فيه حقيقة البعد عن العلم الشرعي، وترك أقوال العلماء، وتسليم القلب والعقل لأناس من أضل الناس، من أهل البدع، فيضحكون على العوام، ويخرجونهم معهم بحجة أنهم يدعون إلى الله، ولا شك أنهم جماعة، أو فرقة دعوة وتبليغ، ولكن ليس دعوة إلى الله، وليس تبليغا عن رسول الله، بل دعوة إلى النار، وتبليغ عن إبليس، نسأل الله السلامة، نسأل الله الهداية لهم ولنا جميعا، فلا بد أن نشدد على أهل البدع، فيه – حقيقة – رحمة بهم، وفيه كذلك تنبيه لغيرهم أن لا يقعوا في مثل ما وقعوا فيه، وهذا الدين أمانة، لا بد أن نبلغه رضي من رضي وسخط من سخط.

قال: (فانطَلَقَ حَتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمُوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذَابِ) بقدر الله اختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، إذ مات في وسط الطريق (فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا بِقَلبِهِ إلى الله تَعَالَى، وقالتْ مَلائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيرًا قَطُّ) طبعا، **كلمة: "لم يعمل خيرا قط" في لغة العرب** لا يعني: أنه لم يعمل أي خير، صفر خير، لا، فهو عمل: مشى نصف الطريق، ذهب تائبا إلى العابد يسأل عن التوبة، ثم إلى العالم ثم مشى نصف الطريق، يريد أن يذهب إلى أرض الصالحين يعبد الله = كل هذا ولم يعمل خيرا!، بل عمل خيرا، ولكن من كثرة الذنوب كأنه لم يعمل خيرا قط، هذه لغة العرب: وهذا ما تقوله الزوجة التي تَكفر العشير، بماذا تدخل النار؟ بكفرانها العشير، أحسن إليها الدهر وتقول: ما عمل خيرا قط. هذا المقصود، وبالتالي: الذين يخرجون من النار: يخرج الله أقواما لم يعملوا خيرا قط، هم عندهم عمل، ولكن لكثرة أعمالهم الباطلة، أو لضعف أعمالهم يقال

فيهم: لم يعملوا خيرا قط، لكن عندهم أصل العمل، وهم موحدون فإذن: فلم يخرجهم الله – سبحانه وتعالى – من النار؟ أخرجهم لأنهم موحدون، وعندهم لا إله إلا الله، وعندهم عمل كذلك، لأن هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، الإيمان: إعتقاد وعمل، لا يجزئ أحدها إلا بالآخر، نقل الإجماع في ذلك الشافعي – رحمه الله – في كتاب "الأم"، وغير واحد من أهل الإسلام نقل الاجماع على أن الإسلام قول واعتقاد وعمل، يزيد و ينقص، فيأتي واحد ويقول بحديث لم يعمل خيرا قط أن العمل ليس من الإيمان! هذا مصيبة.

(فأتَاهُمْ مَلَكٌ في صورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ – أي حَكَما –) هذا من رحمة الله، و هذا خبر عن بني إسرائيل، عن قوم سابقين، والله – سبحانه وتعالى – الذي أراد هذا، وأراد الملائكة أن تختصم فيه، وأراد أن يموت في وسط الطريق، وأراد أن يأتي ملك في صورة آدمي فيجعله حاكما بينهم.

قال: (فقالَ: قِيسُوا ما بينَ الأرضَينِ فَإلَى أيّتهما كَانَ أدنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أدْنى إلَى الأرْضِ التي أرَادَ) وهذا فيه حث على التوبة، وأحرص عليها، وامض في طريق التوبة ولا تتوقف.

قال: (فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحمةِ». مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فَكان إلى القَريَةِ الصَّالِحَةِ أقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أهلهَا».

وفي رواية في الصحيح: «فَأَوحَى الله تَعالَى إلَى هذِهِ أَنْ تَباعَدِي، وإلَى هذِهِ أَنْ تقرَّبِي، وقَالَ: قِيسُوا مَا بيْنَهُما، فَوَجَدُوهُ إلَى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ»

وفي رواية: «فَنَأى بصَدْرِهِ نَحْوَهَا»).

نتوقف عند هذا القدر، وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.